بعد حجز عتاد عسكري إسرائيلي موجه إلى إيران : طهران وإسرائيل فصل جديد من قصة قديمة

31-8-2002

وقد مولت الولايات المتحدة نفقات القناة بين إيران وإسرائيل لخدمة أهداف إستخباراتية وللتأكد من تحقيق توازن بين إيران والعراق. وتبدو فكرة إمكانية تفعيل العلاقات السرية، التي يتنكر لها كلا الطرفين (إيران وإسرائيل) غريبة نوعا ما، لكن فقط في حالة أخذ التصريحات والآراء "الإيديولوجية" بجدية كاملة من كلا الجانبين، وفي عالم يمكن فيه لستالين أن يتحالف ابتداء مع هيتلر ثم مع تشرشل، فإن فكرة العلاقات الإسرائيلية الإيرانية ليست في الواقع "مختلة ولا معتوهة" كما يبدو لأول وهلة عند سماعها!!!. وفي الواقع، فإن إحدى الملامح الحساسة والشائكة في منطقة "الشرق الأوسط" هو أن إيران وإسرائيل تشتركان في عدو واحد ممثلا في العراق. ثم إن موقف واشنطن من هذه العلاقات ليس واضحا، كانت هناك أوقات أرادت فيها أمريكا دعم إيران، ولكن ليس واضحا إذا كان هذا واحدا من هذه الأوقات!، وإذا دمرت العراق، فإن إيران ستصبح أقوى بلد في المنطقة.

أثار الإدعاء الأخير بأن شركة إسرائيلية قد شحنت عتادا عسكريا إلى إيران، وقد ضُبطت "هذه الحمولة" في ألمانيا تساؤلات عدة حول العلاقات السرية بين إيران والكيان الصهيوني، وإذا أبعدنا جانبا لغة الإدانة والتهم العلنية الرائجة المتبادلة بينهما، فإنه يصبح لهذه العلاقات بين إيران وإسرائيل (الذان يشتركان في عدو واحد وهو العراق) معنى، ووراءها مصلحة في الإبقاء على قنوات الاتصالات والتجارة مفتوحة، والسؤال الحيوي الآن، كيف تنظر واشنطن للوضع الآن على ضوء هذا "الحجز"، رغم أنها استغلت سابقا العلاقات السرية بين "القوتين"؟!.

في 28 أغسطس الماضي صادرت الجمارك الالمانية في هامبورغ (شمال المانيا) السفينة "تسايم-انفرس" القادمة من اسرائيل والمحملة بشحنة سلاسل من المطاط يمكن استخدامها في سيارات مدرعة لنقل الجند.

وكانت شركة "بي.ايه.دي" الاسرائيلية التي يرئسها افيخاي فنشتاين (34 عاما) حصلت من وزارة الدفاع الاسرائيلية على "ترخيص قانوني بتصدير هذه العناصر المصنوعة في إسرائيل". وكان فنشتاين أوضح أن "تايلاند كانت الوجهة النهائية للشحنة" كما قالت وزارة الدفاع في بيان . وأضاف البيان "لكن الجمارك الالمانية أبلغتنا أن إيران كانت الوجهة النهائية" للسفينة.

وذكرت الصحف الاسرائيلية أن رئيس شركة "بي.ايه.دس" سبق وقبض عليه للمرة الأولى قبل سنتين في إطار قضية مشابهة تورط فيها قريب له يدعى ايلي كوهن الذي

اشتبه بأنه باع ايران في 1996 محركات لناقلات جند مدرعة M113 . وأوقف في إطار هذه القضية وأطلق سراحه بعد بضعة أيام لعدم توافر الأدلة.
وقد نفت إيران التي لم تعد لها علاقات دبلوماسية مع اسرائيل منذ سقوط نظام الشاه في العام 1979 وقيام جمهورية الخميني، رسميا أي ضلوع لها في هذه القضية . أما اسرائيل فلم تكفَ من ناحيتها عن التأكيد بأن إيران القادرة على حد قولها على اقتناء السلاح النووي بحلول العام 2005، تشكل اليوم خطرا استراتيجيا كبيرا على الدولة العبرية. في قضايا من هذا النوع لا يوجد عقود بريئة. فهو كان على علم بأن الشحنة كانت موجهة إلى إيران" . وحسب مصادر مطلعة، فإن وزارة الدفاع الاسرائيلية التي "أُبلغت بالوجهة النهائية للشحنة لكنها لا تستطيع شكليا رفض منح إذن بالتصدير، نصبت فخا لرجل الاعمال الاسرائيلي بإعلامها الشرطة الألمانية بعد مغادرة سفينة الشحن اسرائيل" . وقد سبق وأُدين اسرائيليون بتهمة تهريب أسلحة إلى إيران. وكان أحدهم، ناحوم منبر، أدين في يوليو 1998 بالسجن 16 سنة مع النفاذ بتهمة الخيانة والتجسس وبيع إيران عناصر أسلحة كيميائية.
وقد يكون هذا صحيحا، فأفيخاي وينشتاين اتُهم سابقا من طرف الحكومة الإسرائيلية بتورطه في شحن عتاد عسكري إلى إيران، ومن المحتمل أن يكرر العملية مرة أخرى. وبالتأكيد، وعلى المستوى النظري، فإنه ليس واردا أن تتهم الحكومة شخصا كهذا. وهو ما يجعل من وانشتاين المنافس الأساس لجائزة Darwin السنوية تعميقا سياسة استغفال الشعب ليسمح له بإعادة الاستنساخ. و بدل أن تلقي إسرائيل القبض على Weinstein قبل مغادرته، من المحتمل أنها قررت أن تكون مدينة "هامبورغ" الألمانية المكان المفضل لتوقيفه، مادام أنه يشكل مشهدا شعبيا مربكا ومحيرا!. وفي الواقع، من الجائز أيضا أن إيران لم يسبق لها وأن عقدت صفقات تجارية مع إسرائيل، مفضلة شراء قطع غيار أنظمة الحزام الأمريكية في الأسواق الحرة!
و كل هذا وارد، لكن احتمالات أخرى تفرض نفسها، مفادها أن إيران وإسرائيل سبق لهما وأن ارتبطا بتعاون وثيق بينهما في المجال العسكري والاستخبارات خلال عهد حكم الشاه، وبعد سقوط الشاه ونجاح ثورة الخميني ألغيت كل أشكال العلاقات مع إسرائيل (أو هكذا يبدو)، لكنه لم تلغ كلية المصالح الجغرافية-السياسية المشتركة!. ويرى المحللون أن إسرائيل لم تكن تريد أن ترى العراق "يهزم" إيران في الحرب التي دارت بين الجارتين خلال عقد الثمانينيات وليس هذا بسبب تعاطفها مع نظام طهران، ولكن لأن النصر العراقي سيكون كارثة لإسرائيل. وبالنسبة لطهران، فإن مواجهة العراق الذي تحظى هجماته بتأييد ضمني من أمريكا، بتجهيزات عسكرية أغلبها عتاد أمريكي، سيحرمها من أي منفذ للحصول على قطع الغيار الأمريكية وأحدث الأسلحة، وبدون إسرائيل، فإن إيران قد تفقد الحرب. وعليه، فإذا وضعنا العامل الإيديولوجي جانبا، فإن المصالح الجغرافية- السياسية حافظت على إبقاء القنوات مفتوحة بين إسرائبل وإيران. ومن هذا المنطلق، تعمدت واشنطن استعمال هذه القنوات، ففي المرحلة الأولى من القضية شاركت أمريكا في بيع أسلحة لإيران، وفي المرحلة الثانية، تورطت في استخدام أموال البيع لتغطية مصاريف الصفقة، وقد استعملت الولايات المتحدة إسرائيل لنقل الأسلحة لإيران، ليس فقط لإظهار الإدانة، ولكن لأن إسرائيل تحظى بقناة مفتوحة

مع إيران، والقيادة الإسرائيلية على صلة بالاستخبارات الإيرانية والمجموعات الإيرانية، وتعرف الخبراء العسكريين في طهران. وهذه القنوات لم تغلق أبدا بالكلية، ومستوى النشاط متنوع. كما أن كلا من إيران وإسرائيل "حافظا" على عداوتهم للعراق، وحسب بعض المراقبين، فإنه منذ أن أدرك المسؤولون الإسرائيليون أن إيران أول المستهدفين من السلاح النووي العراقي، حطمت (إسرائيل) المفاعل النووي العراقي عام 1981م، وقد سرت طهران بهذا كثيرا.

وقد مولت الولايات المتحدة نفقات القناة بين إيران وإسرائيل لخدمة أهداف إستخباراتية وللتأكد من تحقيق توازن بين إيران والعراق. وتبدو فكرة إمكانية تفعيل العلاقات السرية، التي يتنكر لها كلا الطرفين (إيران وإسرائيل) غريبة نوعا ما، لكن فقط في حالة أخذ التصريحات والآراء "الإيديولوجية" بجدية كاملة من كلا الجانبين، وفي عالم يمكن فيه لستالين أن يتحالف ابتداء مع هيتلر ثم مع تشرشل، فإن فكرة العلاقات الإسرائيلية الإيرانية ليست في الواقع "مختلة ولا معتوهة" كما يبدو لأول وهلة عند سماعها!!!. وفي الواقع، فإن إحدى الملامح الحساسة والشائكة في منطقة "الشرق الأوسط" هو أن إيران وإسرائيل تشتركان في عدو واحد ممثلا في العراق. ثم إن موقف واشنطن من هذه العلاقات ليس واضحا، كانت هناك أوقات أرادت فيها أمريكا دعم إيران، ولكن ليس واضحا إذا كان هذا واحدا من هذه الأوقات!، وإذا دمرت العراق، فإن إيران ستصبح أقوى بلد في المنطقة. لكن مرة أخرى، قد يكون ما أثير وما حدث، مجرد مشروع أو مخطط لرجل أعمال لا يتجاوز سنه 32 عاما يتاجر خلف ستار حكومتي إيران وإسرائيل، وكل شيء ممكن!